

بين طلب العلم والدراسة الأكاديمية

محاضرة للشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية وأستاذ كرسي الفتوى فيها

والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

كلية الشريعة

تدعوكم لحضور اللقاء العلمي

بين طلب العلم
والدراسة الأكاديمية

لفضيلة
أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي
أستاذ كرسي سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم للفتوى وضوابطها

قاعة ٤٠٠

يوم الاثنين
١٢/١٠/١٤٣٩هـ

الساعة ٩:٥٠ صباحاً

يوجد إفطار للحضور

قاعة ٤٠٠

يوم الاثنين
١٢/١٠/١٤٣٩هـ

الساعة ٩:٥٠ صباحاً

يوجد إفطار للحضور

أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم للفتوى وضوابطها

قال الشيخ حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم معاشر الأُحبة:

أهلاً وسهلاً بكم، أهلاً وسهلاً بالذن أحبهم وأودهم في الله ذي الآلاء، مرحباً بجميع أحبتي في الله، وأسأل الله ﷻ أن يحقق لكم الآمال، وأن يزيدكم من فضله.

أيها الفضلاء، إن العلم شرف لصاحبه، وغنى لصاحبه، ورفعة لصاحبه، فما اقتنى أحد أشرف من العلم، ولا أغلى من العلم، فديننا دين علم وبصيرة، العلم كنز يُكْتَنَزُ، وقربة يُنْقَرَّبُ بها إلى الله ﷻ، ورفعة لصاحبه، كما قال ربنا ﷻ: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١]، فربنا ﷻ يرفع من يشاء درجات.

وهذه الرفعة -كما بينها السلف- إنما هي بالعلم، فينفاوت الناس في شرفهم ورفعة منزلتهم، في الدنيا والآخرة، بحسب علمهم، وبحسب عملهم بذلك العلم، ولذا قال ربنا ﷻ: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: ٩]، والله لا يستون مقاماً، ورب الكعبة لا يستون عملاً.

ووالله لا يستون خشية، بل أهل العلم هم فوق غيرهم، رفعةً وعملاً وخشيةً، ولذا قال ربنا ﷺ: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]، فالعلماء هم أكثر الناس خشيةً لربنا ﷻ، لأن الإنسان كلما تعلم كان أعلم بالله ﷻ من غيره، فيكون أخشى لله ﷻ من غيره.

وطلب العلم شرف عظيم، يهبه الله ﷻ لمن يشاء من عباده، فإنه طريق أوله في الدنيا، ومنتهاه إلى حيث الراحة، إلى جنة رب العالمين، حيث يرتاح المؤمن إذا وضع رجله في الجنة، كما قال الإمام أحمد لما سئل: متى الراحة يا أبا عبد الله؟ أو: متى يرتاح المؤمن يا أبا عبد الله؟ فقال: إذا وضع رجله في الجنة.

فطلب العلم طريق أوله هنا، وآخره نعم المُنتهى، لمن عمل فيه بما أراد الله ﷻ، ولذا قال النبي ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيثان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، ألا وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر».

فطريق طلب العلم كله شرف، لا ينقص شرفه أبداً، منذ أن تعزم عزماً صادقاً، وتحمل كتاباً لتتعلم، فإنك في طريق الشرف، وفي طريق العزة والكرامة، إن سرت كما أراد الله ﷻ.

«فمن سلك طريقاً»: لا قصد له إلا أنه يلتمس ويطلب بهذا السلوك علماً من العلوم التي تُرضي الله ﷻ، فإن الله ﷻ قد يسر له طريق الجنة، فإن هذا السلوك سلوك لطريق الجنة، فهو يسير في طريق الجنة.

واني لأعجب كيف يتعب طالب العلم، وكيف يملّ طالب العلم، وكيف يقف طالب العلم، وهو يعلم أنه إنما يسير في طريق الجنة، في طريق الجنة التي أعد الله فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وإذا جلس في الحلقة، أو جلس في الفصل، فهو في روضة من رياض الجنة، سيَرُهُ سَيَرٌ في طريق الجنة، وجلوسه جلوس في رياض الجنة، كما قال النبي ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: «خلق الذكر».

وأعظم خلق الذكر: مجالس العلم، فطالب العلم إن سار سار في طريق الجنة، وإن جلس يستمع، وإن جلس يتعلم، جلس في روضة من رياض الجنة، هذا وهو في الدنيا، حتى أن الملائكة تتواضع له وهو يسير يطلب العلم، فالملائكة تضع أجنحتها تواضعًا له، ومحبةً له، وإكرامًا له، من محبتهم لما يطلب، لأن الملائكة علمت أن الله يحب من عبده المؤمن أن يطلب العلم، فأحبت ما يحبه الله ﷻ، وأحبت من يحبه الله ﷻ، فتضع أجنحتها لطالب العلم، ويركب بعضهم بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا، من محبتهم لما يطلب.

فإن فتح الله عليه وأصبح ذا علم، وحصل من العلم ما ينقله، وما يُعَلِّمه، وما يُدَرِّسه، فإنه باقٍ في طريق الجنة، مع رفعة وزيادة شرف، فإن العالم من فضله ومكانته يستغفر له كل من في السماوات والأرض، فهو حقيق أن يستغفر له كل من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيوانات، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم الذي يعلم ويعمل على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، والعرب من عاداتها أنها تفضل القمر على سائر الكواكب.

بل أعظم من هذا وأبلغ، وأكثر أثرًا في قلب المؤمن، أن النبي ﷺ ذكر له عالم وعابد، ذكر له عالم يعمل بعلمه، وعابد يتعبد ويتقرب إلى الله، غير أنه لا همة له في طلب العلم، وليس من أهل العلم، فقال النبي ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم».

فما أعظمها من منزلة! النبي ﷺ يقول: إن فضل العالم على العابد كفضله ﷺ على أدنى أمته ﷺ، فما أعظمها من منزلة! فوالله يا أحبتي، يا طلاب العلم، لو لم نسمع في فضل العلم إلا قول نبينا ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»، لكفانا هذا لأن ترتفع هممنا إلى آفاق السماء في طلب العلم، وأن تشتد عزائمنا في طلب العلم، وأن يعظم صبرنا في طلب العلم.

ثم إن العالم منزلته في ديننا أنه كأقارب رسول الله ﷺ، فإنه يرث ميراث رسول الله ﷺ، والأنبياء لا يُورثون إلا الأمور العالية، أما أمور الدنيا فما تركوه صدقة، وإنما يُورثون المعالي، والمنازل الرفيعة، يُورثون العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر.

واعلم يا أُخَيَّ، يا طالب العلم، أَنَّ نصيبك من النبي ﷺ بمقدار ما تحصّل من العلم، وما أعظمه من مُحَقَّر يُحَقَّر طالب العلم على كثرة طلب العلم، وعلى السعي الشديد في طلب العلم، حتى يكون أقرب إلى رسول الله ﷺ من غيره، وَمَنْ الذي يُؤَثِّر غيره على نفسه في القُرْب من رسول الله ﷺ؟

لا شك أن المنزلة عظيمة، فمنزلة العلم وشرف العلم في ديننا أمر عظيم، ومنزلة سامية، ممّا يجعل طالب العلم حريصاً على أن يكون من أهل الفلاح، ومن أهل الفوز، ومن أهل الغنائم الكبرى في طلب العلم.

واعلم -يا طالب العلم- أنك مع العزيمة الصادقة، والهمة العالية، تحتاج في فلاحك في طلب العلم إلى أمور لا بد منها، أجمعها في نقاط:

تحتاج إلى إخلاص للعلم الفتح، وعلم نافع مصلح، وشيخ ثقة فتّاح، وقلب حاضر وعقل رجّاح، وكُتُب صحاح، وصبر وعزيمة وإلحاح، ورفيق نصّاح، فإذا جمعت هذه فقد سرت في طريق الفلاح.

تحتاج إلى إخلاص للعلم الفتح: فإذا أخلصت لله رزقك العلم، وفتح عليك، ورزقك الفهم، الإخلاص مفتاح كل خير، وكل إنسان يحتاج في سيره إلى الله إلى الإخلاص، إلا أن حاجتنا -معاشر طلاب العلم- إلى الإخلاص أعظم من حاجة غيرنا، فإن الذي نطلبه عزيز غالٍ، وكلّما عَزَّ الشيء كلّما عظم شأن الإخلاص فيه، فينبغي علينا أن نجاهد أنفسنا على الإخلاص لله ﷻ، بأن نحرص على أن يكون قصدنا من طلب العلم أن ننفع أنفسنا، كما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، يقول الإمام مالك رحمه الله ﷺ: ما تعلمت العلم للناس، يعني إنما تعلمت لنفسي، لأنفع نفسي، لأصلح عملي، لأتقرب إلى الله ﷻ، فينبغي أن نعتني بهذا عناية عظيمة، وكيف لا نعتني بهذا وقد سمعنا قول نبينا ﷺ: «من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله، لا يتعلّمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد رائحة الجنة»، أو «لم يجد عرف الجنة»؟

فهذا وعيد شديد لمن تعلّم العلم الشرعي ولا همّ له، ولا قصد له، ولا طُلبة له، إلا عرضاً من أعراض الدنيا، فإنه متوعّد بهذا الوعيد الشديد.

ومن الناس -والعياذ بالله- من يؤتى به يوم القيامة، فيعرّفه الله ﷻ نعمه عليه، فيعرفها في العلم والتعلّم، فيقول: فما عملت فيها؟ فيقول: تعلّمت العلم وعلمّته، وقرأت فيك القرآن، فيقال: كذبت، وإنما تعلّمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، ثم يؤمر به فيُسحب على وجهه، حتى يُلقى في النار.

فينبغي علينا -أيها الأحبة- أن نخلص لله ﷻ، وأن نجاهد أنفسنا في الإخلاص.

ولتعلّم -يا طالب العلم- أن الإخلاص في طلب العلم لا يأتي سريعاً، ولا يأتي سهلاً، ولا يأتي في زمن قليل، بل يحتاج إلى مجاهدة وصبر طويل، لكن ما دمت بحمد الله تجاهد نفسك وتُثقل على طلب الإخلاص، فاعلم أنك على خير، ولو جاءك الشيطان وقال لك: انصرف عن طلب العلم، فإن المسألة مسألة جنة أو نار، وأنت في قلبك شيء من الخلل، فلا تلتفت إليه، وإنما جاهد نفسك، واستمرّ في طلب الإخلاص، وما دمت صادقاً في طلب الإخلاص فتق يقيناً أن العقابة ستكون حسن.

وهذا معنى قول بعض السلف: تعلّمنا العلم للدنيا، فأبى العلم إلا أن يكون لله، مقصودهم أن الإنسان في أول الطلب -ولا سيما في فترة الشباب- قد يكون في قصده وفي قلبه شيء من طلب الدنيا أثناء طلب العلم، لكن مع المجاهدة والصبر والصدق في طلب الإخلاص، فإن الأمر يؤول إلى خير، ويُرزق العبد الإخلاص، ومن ثم يُرزق نعيم الدنيا، فيكون في وسط الدنيا في جنة، لا يعرفها إلا من رزق الإخلاص من أهل العلم.

كما أنك -يا طالب العلم- إذا رُزقت الاختيار، فكنّت مختاراً العلم النافع، الذي يعود عليك بتركية النفس، ويعود عليك بحسن السير إلى الله ﷻ، وبحسن الأخلاق مع عباد الله، ويعود عليك بالتواضع لعباد الله ﷻ، فإنك تكون وُفقت إلى الخير، ولذا قال النبي ﷺ: «إن الله وملائكته، وأهل السماوات وأهل الأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلّون على معلّم الناس الخير».

فالعلم النافع هو الخير الذي يؤخّذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، فإذا تعلّمت هذا العلم، وفتح الله عليك وعلمّته للناس، فإنك قد رُزقت طريق الفلاح.

كما أنك في طريق الفلاح في طلب العلم بحاجة إلى شيخ، فلا بد لطالب العلم من شيخ يؤدبه، ويعلمه، فإن طالب العلم بحاجة في طلبه العلم إلى الأمرين: أن يتأدب، وأن يُعلم، وهذا لا يكون بفضل الله ﷻ إلا على يد الشيوخ، فتحتاج في طلبك العلم إلى شيخ وأستاذ معلم يكون ثقة، ثقةً في دينه، تتعلم منه الأدب، وتزداد بمجالسته طاعةً لله ﷻ، وقرباً من الله ﷻ، ويصلح دينك بمجالسته، وتأخذ منه علماً صافياً، فلا بد في الشيخ من أن يكون ثقةً، وأن يكون فتاحاً، أي ذا فهم، فيستطيع أن يشرح لك غوالق ومغاليق العلم، فالشيخ الثقة الفتاح من أعظم نعم الله على طالب العلم.

كما أنك -يا طالب العلم- بحاجة إلى أن تكون في طلبك للعلم ذا قلب حاضر وعقل رجاّح، فإن التلقي يحتاج إلى القلب، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [لق: ٣٧].

فلا بد من قلب، ولا بد من أن يكون القلب حاضراً، فإن الشيطان حريص على أن يصرف طالب العلم عن طريق طلب العلم، لأن الشيطان يدرك أنه لا تزوج بضاعته إلا إذا فقد طلاب العلم، لا تزوج بضاعته إلا في سوق الجهل، فيقعد لطالب العلم في الطريق، يُخدّله عن طلب العلم: لماذا تذهب إلى الكلية؟ ماذا في الكلية؟ لن تجد خيراً جديداً، لماذا تذهب إلى حلقة الشيخ؟ أنت تحصل في الكتب شيئاً كثيراً، ثم ينومه عن الكتب، فإن لم يظفر بهذا فإنه يصرف قلبه إذا حضر عن الخير وعن التلقي، فيحتاج طالب العلم إلى أن يجاهد نفسه في إحضار قلبه، حيث يسمع لأساتذته، ولشيوخه، ويحتاج إلى عقل رجاّح، يرجّح المعاني التي يسمعها من شيوخه، ويرجّح بين المسائل الخلافية، حتى ينتفع في طريق طلب العلم.

كما أن المفلاح من طلاب العلم بحاجة إلى كتب صحاح يقرأ فيها، فالكتب لطالب العلم كالزاد للجائع، ولا بد أن يكون الزاد نافعاً غير مسموم، وكذا ينبغي أن تكون الكتب التي يقرأها طالب العلم نافعةً غير مسمومة، من كتب أهل السنة والجماعة، ليست من كتب أهل البدع، ولا من الكتب التي فيها تضييع الوقت وإضعاف الهمم، والصرف عن سنة نبينا ﷺ.

كما أنك -يا طالب العلم- بحاجة في طريق الفلاح إلى صبر وعزيمة وإلحاح، هذا العلم لا يناله عجول أبداً، ولا يناله ملول أبداً، فلا بد من صبر لأن العلم ثقيل، وتواجه في الطريق صعباً، قد

تفارق زوجتك، قد تفارق أحبابك، قد تفارق بلدك، وفي هذا صعوبات عظيمة، لكن من ذاق حلاوة العلم، وعَلِمَ منزلة العلم، هان عليه ذلك وصبر، كيف وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يرحلون في طلب العلم، ويسبغون الأيام الطوال، وقد يسير أحدهم على رجله من أجل أن يطلب العلم، ثم قد يبقى سنة أو سنتين، ثم يعود إلى بلده، ثم يرحل مرة أخرى، بل من السلف الصالح من خرج من بلده وامرأته حامل في أول حملها، ولم يرجع إلى بلده إلا وولده يسير على الأرض، ويستقبله وهو سائر على قدميه.

نتذكر صنيع السلف الصالح رضوان الله عليهم في رحلتهم في طلب العلم، ومن ذلك مثلاً: ما كان يقع للإمام أحمد بن حنبل رحمته الله، فإنه نشأ يتيمًا فقيرًا، ومع ذلك كان يأبى أن يأخذ من أحد شيئًا، حتى أنه أجّر نفسه على قافلة، حتى يرحل إلى الإمام عبد الرزاق في اليمن، فلمّا وصل إلى الإمام عبد الرزاق في اليمن، ورأى الإمام عبد الرزاق نجابته، وذكاءه، وفقره، أعطاه بعض المال، فأبى الإمام أحمد أن يقبل هذا المال، وقال: لو كنت آخذًا من أحد لأخذت المال منك.

ومع ذلك كان يطلب العلم، ويصبر على ذلك، حتى أنه فقد أصحابه أيامًا، فذهب أحدهم يتفقده، فلما طرق عليه الباب أبقاه قليلًا، ثم أذن له في الدخول، وقد ألقى على نفسه شيئًا، فقال: ما الذي جعلك تحبسني؟ فقال: إن ثيابي سُرقت، ولا ثوب عندي، فالتمست شيئًا أستتر به، فكان رحمته الله لا يستطيع الخروج، لأنه لا ثوب عنده، فعرض عليه مالا ليشتري به ثيابًا، فأبى الإمام أحمد، فلما انصرف صاحبه قال: ما يحلّ لك أن تقتل نفسك! فقال له الإمام أحمد: أتذكر أحاديث فلان التي سمعناها من فلان؟ قال: أذكرها، قال له: أتحبّ أن أنسخها لك بكذا؟ قال: نعم، فنسخها له، وأخذ مقابلًا على النسخ، واشترى به ثيابًا.

مقصودي من هذا: أن تتذكر -يا طالب العلم- مع الصعوبات التي تجدها عند طلب العلم ما كان عليه السلف الصالح في طلبهم للعلم، من أجل أن يصبرك ذلك على طريق طلب العلم.

كما أنك تحتاج إلى عزيمة، لأن المثبطات عن طلب العلم كثيرة.

كما أنك تحتاج إلى إلحاح، فإن طلب العلم يحتاج إلى الشيوخ، والشيوخ قد لا يوافق أحدهم على أن يعلمك إلا بأن تلحّ عليه، وتكون ملحاحًا صبورًا، فلا بدّ من هذا.

كما أنك -يا طالب العلم- في طريق الفلاح بحاجة إلى رفيق لك نصّاح، ينصحك، وإذا رأى منك ضعفًا أو تكاسلاً ذكّرك، ورفع من عزيمتك.

فإذا كنت كذلك -يا طالب العلم- فاعلم أن العبرة في طلب العلم إنما هي بالمطلوب، وأما الوسائل فبابها مفتوح عظيم، سواء تعلّمت في كلية، أو تعلّمت في معهد، أو تعلّمت في مسجد، فكلها من رياض الجنة، وكلها خير وبركة.

ونحن في الجامعة الإسلامية في مدينة رسول الله ﷺ قد يسّر الله لنا الأمرين، فيسّر لنا الدراسة النظامية المرتبة الأكاديمية، كالذي في هذه الجامعة الإسلامية، الجامعة المباركة التي أنشأها الملك سعود ﷺ بفكرة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ﷺ، الذي رأى أن الدراسة النظامية أنفع لطلاب العلم من حيث الترتيب، ومن حيث الإلزام، ومن حيث الجمع، وعاضده في ذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ، فأنشئت هذه الجامعة للمسلمين جميعًا، ومنذ إنشائها وهي تستقبل طلاب العلم من جميع أرجاء الأرض، فرتّبت الدراسة فيها على طريقة نافعة، وجعلت مناهجها بطريقة نافعة لطلاب العلم.

ولذلك من أنفع ما يكون لطالب العلم في طلبه العلم: أن يرزقه الله ﷻ الالتحاق بهذه الجامعة الإسلامية، التي يتمنى الآلاف بل الملايين أن يكونوا من طلابها، فمن أكرمه الله ﷻ، وخصّه بأن يكون طالبًا من طلاب الجامعة الإسلامية، فليعرف عظم نعمة الله ﷻ عليه، وليجتهد في الدراسة، وليحصل الدرجات العلى، وقد كان شيوخنا وشيوخ شيوخنا يحثّون طلاب العلم على الحصول على الدرجات العالية، من أجل أن يتمكن طالب العلم من إكمال دراسته، والحصول على المزيد من العلم.

كما أن الله ﷻ أنعم علينا بحلق العلماء الثقّات الأثبات في مسجد رسول الله ﷺ، وفي غير مسجد رسول الله ﷺ، فمدينة رسول الله ﷺ فيها علماء كبار تُضرب إليهم أكباد الإبل، ويُرحل إليهم في طلب العلم.

فإذا يسّر الله ﷻ لطالب العلم أن يكون في مدينة رسول الله ﷺ، وأن يطلب العلم في حلق أهل العلم، فقد يسّر الله له خيرًا كثيرًا.

فالوصية لطلاب الجامعة الإسلامية: ألا يتركوا أو يُهملوا الدراسة في الجامعة، بحجة أنهم يطلبون العلم عند الشيوخ، كما أنه لا ينبغي لطالب العلم أن يترك فرصة التلقي عن الشيوخ والعلماء في مدينة رسول الله ﷺ، بحجة أنه يدرس الدراسة النظامية، وأن الدراسة النظامية تأخذ وقته، فإن من نظم وقته جمع بين المصالح، وحصل الخير الكثير، والقاعدة طبعاً وشرعاً: أنه يُجمع بين المصالح ما أمكن الجمع بينها.

فينبغي لطالب العلم أن يُنظم وقته بحيث يدرس الدراسة النظامية التي جاء من أجلها، وعاهد الجامعة عليها، فالطالب عندما يأتي يعاهد الجامعة على أن يطلب العلم فيها، وعلى أن يحرص على طلب العلم فيها، فينبغي عليه أن يفي بعهده، وعليه أيضاً أن يستفيد من علم الشيوخ الكبار في هذه المدينة المباركة.

فلا تعارض البتة بين طلب العلم النظامي المعروف بالمدارس، وبين طلب العلم عند الشيوخ في الحلق والمساجد، وكلها -كما قلت- رياض من رياض الجنة.

ولنا في مدينة رسول الله ﷺ خصوصية في طلب العلم في مسجد رسول الله ﷺ، فإن لطالب العلم في مسجد رسول الله ﷺ مزية زائدة عن طلب العلم في غيره، فإن من غدا إلى مسجد رسول الله ﷺ ينال أجوراً عظيمة، منها: أنه يفوز في كل مجلس بأجر الحاج الذي تم له حجه، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وأنه يفوز في كل مجلس بأجر المجاهد في سبيل الله ﷻ.

كيف لا يكون كذلك، وقد قال النبي ﷺ: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه، كان له كأجر حاج تاماً حجته»، وقال ﷺ: «من أتى مسجدنا هذا، لم يأتيه إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه، كان كالمجاهد في سبيل الله»، فهو كالمجاهد في سبيل الله حالاً، وكالمجاهد في سبيل الله ثواباً، وكالمجاهد في سبيل الله منزلةً.

كما أن الذي يذهب إلى مسجد رسول الله ﷺ، ويطلب العلم في مسجد رسول الله ﷺ، يكون متشبهًا بصحابة رسول الله ﷺ، الذين كانوا يطلبون العلم في مسجد رسول الله ﷺ، ثم نشروا العلم في أرجاء الأرض، ونشروا السنة في أرجاء الأرض، وهكذا أنتم معاشر الأحبة، معاشر طلاب الجامعة الإسلامية، يُرجى منكم أن تتعلموا التوحيد والسنة من مدينة رسول الله ﷺ، وأن تنقلوها

إلى أرجاء الأرض إلى المسلمين، وأن تعلّموا المسلمين التوحيد والسنة وصحيح الأحكام، بالرفق واللين، والكلمة الطيبة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ما كان لهذا سبيل يؤدي إليه.

فوصيتي لنفسي وإخواني: أن نحمد الله ﷻ على هذه النعمة التي أنعم بها علينا، وأن نغترف من الفضل والخير في الجامعة الإسلامية، وأن نغترف من الخير والفضل في حلق أهل العلم في مدينة رسول الله ﷺ.

وكذلك كل من تيسر له أن يدرس دراسةً نظاميةً صافيةً، فيها العلم والخير والهدى، ويدرس على أهل العلم، فإن الوصية أن يجمع بين الخيرين، وأن يجمع بين المصلحتين، وأن يجتهد في ذلك.

أسأل الله ﷻ أن يثبتني وإياكم على هذا الطريق، وأن يصبرنا عليه، وأن يجعلنا من أهله، وأن يرزقنا فضله، وأن يجعلنا من المداومين على طلب العلم إلى أن نلقاه ﷻ، وأن يجعلنا جميعًا ممن رفعهم بالعلم في الدنيا والآخرة، وأن يجعل كنزنا وغنانا في طلب العلم، وأن يجعل خيرنا ورفعتنا يوم القيامة بهذا العلم، وأن يجعلنا من العاملين به.

والله أعلم، وصلى الله على نبيينا وسلم.

الأسئلة

السؤال الأول: ما نصيحتكم للمتخرجين عند رجوعهم إلى بلدانهم؟

الله أكبر! لا شك أن من أنعم الله عليه بالدراسة في مدينة رسول الله ﷺ وتحصيل العلم، ثم تخرج في هذه الجامعة المباركة ورجع إلى بلاده، لا شك أنه حصل خيراً عظيماً، وتحمل أمانةً كبيرة.

والمعلوم أن الواحد منا لن تزول قدماء من عند ربه ﷻ حتى يسأله عن علمه ماذا عمل فيه، ماذا عمل فيه في خاصة نفسه، وماذا عمل فيه من جهة الدعوة إلى الله ﷻ به.

فوصيتي للخريج في هذه الجامعة الإسلامية وفي غيرها، ممن يحملون العلوم النافعة: تقوى الله ﷻ، والحرص على العمل بالعلم، فإنك -يا طالب العلم- إذا رجعت إلى بلادك قدوة ينظر إليك الناس، ويقتدون بأقوالك، ويقتدون بأعمالك، فقد تأتي يوم القيامة وأنت تحمل أجوراً كريمةً كثيرة، قد لا تعلم من أين حصلتها، لأن من الناس من رآك على خير فاقتردى بك، رآك محافظاً على صلاة الجماعة فاقتردى بك، رآك محافظاً على ذكر الله فاقتردى بك، رآك محققاً للتوحيد فاقتردى بك، رآك معظماً لسنة النبي ﷺ فاقتردى بك، فيكون لك أجره وأجر من يقتدي به إلى يوم القيامة، فمن سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

والعكس -والعياذ بالله- قد يأتي طالب العلم يوم القيامة -أعاذني الله وإياكم من سوء الحال- قد يأتي يوم القيامة وهو يحمل أوزاراً قد لا يدري عنها، لأنه لم يعملها بنفسه، لكنه كان قدوة في الشر، فراه بعض الناس يعمل شراً فاقتردى به لأنه خريج الجامعة، رآه يرقص مع أهل الموالد من أجل الدنيا، فذهب إلى أهل الموالد، رآه مع أهل العقائد الفاسدة، رآه مع أهل العقائد المنحرفة، من الأشاعرة أو الماتريدية أو غير ذلك، فاعتقد هذه العقائد، ولو لم يدعه إلى هذا، فيأتي يوم القيامة وهو يحمل أوزارهم، وأوزار من اقتدوا به في هذا، والعياذ بالله، فمن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً.

فعلى طالب العلم أن يحرص حرصاً شديداً على تقوى الله، وعلى عمله بالعلم، وعلى ألا يرى الناس منه إلا خيراً، وعملاً صالحاً، وخُلُقاً كريماً، وسمناً طيباً، فإن الناس يقتدون به.

كما أوصي طالب العلم الخريج الذي تخرّج في هذه الجامعة: أن يحرص على نشر العلم، وعلى نشر الخير، وأن يعلم الناس الخير، فإن العلم خير ما لم يُسرّ به، ما لم يكن سرّاً، هذا ما قاله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أمر بأن يُنشر العلم، وأن يُشهر العلم، وألا يُجعل للخاصّة، فإن العلم لا يزال خيراً ما لم يُسرّ به.

فأنت -يا عبد الله- لا تزال بخير ما نشرت العلم وعلمت الناس، أما إذا جعلته في نفسك ولم تبدله للناس، فإن الحجة قائمة عليك، وإنك لا تكون قد جلبت خيراً لنفسك، ولا لأمتك.

كما أوصي الخريج بأن يكون رفيقاً بالناس، وأن يجادل الناس بالتي هي أحسن، فإن هذا هو الأصل، وإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه.

فما دمت قادراً على الرفق فاسلك سبيل الرفق، ألا ترى أن اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون من مكرهم وخبيثهم: السام عليكم! فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «وعليكم»، وفي رواية: «عليكم»، فتسمعهم أمناً عائشة رضي الله عنها، وتترك ما يقولون، فنقول من غيرتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم السام واللعنة! أي عليكم الموت -كما قلتم- واللعنة، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لأمتنا عائشة: «مه يا عائشة! عليك بالرفق، فإن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله».

إذا كان في هذا المقام، فكيف بغيره؟ فالوصية هي الرفق بالناس، فإن الرفق مفتاح القلوب، ويقرب الناس إلى الحق، ما لم يقتضِ المقام الشرعي شيئاً من التعنيف، فإن التعنيف في موضعه رفق عند السلف الصالح رضوان الله عليهم، والأمر للداعية كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: المسلم للمسلم كاليدين، تغسل إحداهما الأخرى، وقد يحتاج الوسخ أحياناً إلى شيء من الفرق.

فالداعية هكذا، الأصل أن يغسل دنس الناس وجهل الناس بالرفق، ولكن إذا احتاج إلى شيء من التعنيف، واقتضى المقام الشرعي ذلك، فإنه لا لوم عليه، بل هذا هو المطلوب شرعاً.

أوصي الخريج بأن يعامل أهل بلده بما يناسبهم، وألا ينقل في المعاملة ما رآه في المدينة، أو في الجامعة، إلى أهله، فإن البلدان تختلف، والنفوس تختلف، ففرق بين بلد تظهر فيه السنة، وتُتصر فيه السنة، ويظهر فيه التوحيد، ويُكسر فيه الشرك، وبين بلد يكثر فيه دعاة الشرك، ويكثر فيه دعاة البدعة، نحن ندعو إلى الخير في أي مكان كنّا، ولا نغيّر الخير من أجل الناس، ولكن نلحظ حال الناس، ونعرف حال الناس، ونحدّث الناس بما يوصل الحق إلى الخلق، لأن

مقصودنا أن نعلّم الناس التوحيد والسنة، وصحيح الأحكام، والعلم النافع، فننظر إلى ظروف البلاد، وما يكون في البلاد، وتكون دعوتنا على بصيرة في هذا الباب.

وأحذر الخريجين من الكسل، ومما يسمّى بالعائق الوحيد، فإن هذا يقتل دعوة الخريج، وذلك أن بعض إخواننا إذا رجع إلى بلاده يأتيه إبليس بالعائق الوحيد، فيقول له: الآن أنت غريب، والناس ينتظرون، وينظرون إليك، فانظر ولا تبدأ بالدعوة، إذا تعرّف الناس عليك بعد ذلك تبدأ في الدعوة، فإذا مرّت عليه فترة قال: أنت الآن تزوجت، وتحتاج أن تتألف زوجتك، وأن تبني لك بيتاً، بعد ذلك: أنت رزقت بولد، فينبغي أن تربيّه، ثم بعد ذلك يموت طالب العلم ولا يكون له أثر في دعوته.

كن ذا همّة وعزيمة من أول وصولك إلى بلدك، ادعُ إلى الله ﷻ، وانقل الخير، وكن ذا حجة، واصبر.

ومما أوصي به الطلاب جميعاً: أن نحرص أن تكون دعوتنا مكسوة بالألفاظ الطيبة، ولذلك ذكر أن أحد السلف الصالح رضوان الله عليهم كان له تلميذ نجيب، لكنّه ما كان يحسن اللفظ، فقال له: اكسُ لفظك، كأن لفظه عارٍ فيحتاج أن يكسوه بما يجمّله، فأنا أوصي طلاب العلم بالحرص على سلامة اللسان، من جهة النحو، ومن جهة البلاغة، ومن جهة التراكيب.

الحرص على أن يكون اللفظ طيباً، وأن يكون بأسلوب طيب، هذا من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه الخريج.

أسأل الله ﷻ أن يوفّق طلاب العلم جميعاً، والخريجين خصوصاً، إلى القيام بالواجب عليهم.

السؤال الثاني: هل لا بد لطالب العلم أن يدرس الفقه على مذهب معين، وهل يلزمه حفظ المتن؟

بارك الله في السائل والسامعين، لا شك -أيها الإخوة- أن طلب العلم يحتاج إلى منهج سليم، لا ينبغي لطالب العلم أن يترك نفسه هكذا، يطلب العلم حيثما توجّهت به الرياح، بل لا بد أن يكون له منهج يسير عليه، وأن يرسم لنفسه طريقاً يسير فيه.

والعلم يُبدأ فيه بأمرين: صغار العلم، وكليات العلم.

يبدأ بصغار العلم، فإن الرّبّانين هم الذين يعلّمون الناس صغار العلم قبل كباره، وبالكليات الجامعة التي تجمع العلم.

فهذا الأمر يحتاج من أجله طالب العلم أن يبدأ بكتاب مختصر يحوي العلم، من جهة المسائل الصغار التي يحتاجها طالب العلم قبل أن يتبحّر في العلم، فإن من بدأ بالمسائل الكبار، وبالتبحّر في الكتب الكبرى، يوشك أن يغرق في بحر العلم، ولا يخرج، ولا ينتفع بشيء.

ولذلك نجد أن بعض طلابنا في كلية الشريعة مثلاً، إذا جاء إلى الكلية قبل أن يدرس صغار المسائل، وأن يدرس متناً، وبدأ ببداية المجتهد من أول الدراسة، يُصدّم صدمة عظيمة، ولا ينتفع بالفقه إذا لم ينتبه ويُصلح منهجه، ويُدْرُس المسائل الصغار مع دراسته -في كلية الشريعة مثلاً- بداية المجتهد.

وللذهبي كلمة جميلة جداً في هذا المقام، يقول: كيف يطير ولما يُرَيَّش؟! العصفور لو رأى الحمامة تطير، فأراد أن يطير كما تطير قبل أن يظهر له الريش، فإنه يقع من الشجرة ويُدَقُّ عُنُقُهُ، وهكذا طالب العلم، إذا لم يبدأ بصغار المسائل فإنه إما أن يُصاب بالغرور، والغرور داء قاتل لطالب العلم، وإما أن ينصرف عن طلب العلم.

إذن لا بد من متن صغير يبدأ به طالب العلم، فإذا تكلمنا عن الفقه: فلا بد أن يختار متناً، وللعلماء طريقتان مسلوكتان، ولكلّ منهما مزايا.

الطريقة الأولى: طريقة المتن الفقهية التي كتبها الفقهاء.

والطريقة الثانية: طريقة أحاديث الأحكام.

فمن سلك هذه الطريقة، طريقة المتون الفقهية: فإنه يحصل أن المسائل تُجمع له في مكان واحد، وتكون مرتبة، وتكون منظّمة، وينتقل من مسألة إلى أخرى، فيكون متسلسلاً في علمه.

في الطريقة الأخرى: يسير على طريقة العناية بالدليل، والربط بالدليل، وكيفية الاستنباط.

ولكن الذي يؤثر في اختيار إحدى الطريقتين: أن تجد شيخاً يدرّسك المتن، ولذلك الشيخ الألباني رحمته الله لما سئل هذا السؤال الذي سأله الأخ، قال: اليوم طلاب العلم لا يجدون في بلدانهم مَنْ يدرّسهم على طريقة الاتباع، وإنما الأغلب في البلدان أن يجد شيخاً يدرّس بالمذهب، فهنا يأخذ طالب العلم متناً بحسب ما هو موجود في بلده، وشيوخ بلده، ويدرس هذا على شيخه، حتى يجعل ذلك قنطرة لينتقل إلى الاتباع، وهذا الذي نوصي به.

وأنا أوصي الطلاب دائماً، أقول: اختر متناً من المذهب الشائع في بلدك، لماذا؟ لأنك إذا حفظت هذا المتن، وتمكنت منه، يثق الناس في البلد بعلمك، وتستطيع أن توصل إليهم الخير عن طريق تفهّم بعلمك، وتدرّس هذا المتن على شيخ.

هب أنك ما وجدت مَنْ يشرح المتن الذي حفظته، لا بأس، احضر عند الشيخ في متن، مثلاً دليل الطالب، زاد المستقنع، عمدة الفقه، ثم إذا عدت إلى البيت قيّد المسائل المتشابهة في الكتابين على الكتاب الآخر، وما بقي من المسائل لم يُشرح: اعرضه على الشيخ عرضاً، حتى تنتفع بهذا.

تحتاج بعد معرفة المتن وحفظه إن تمكنت: أن تفهم طريقة العلماء في فهم المسائل، ولذلك تحتاج إلى شيخ يشرح لك المتن فقط، بعد ذلك تنتقل إلى أن تعرف الراجح من المرجوح فقط، بدون معرفة الخلاف، فتقرأ على شيخ يعلمك الراجح من المرجوح، وإذا ذكر الخلاف فهو عرض، يأتي عرضاً، ثم تنتقل بعد ذلك إلى الخلاف.

وأضرب مثلاً بما يقع هنا مثلاً: أكثر الناس مثلاً يختار زاد المستقنع، متناً يحفظه ويقرأه، إذا أراد ينتقل مثلاً إذا الشرح المختصر للشيخ صالح الفوزن حفظه الله رحمته الله على الزاد، لأن الشيخ في الشرح المختصر حرص على أن يفتح ما في الكتاب فقط، ثم بعد ذلك ينتقل إلى كتاب الشرح

المتع للشيخ ابن عثيمين رحمته الله، لأن الشيخ شرح على طريقة الراجح، بيان الراجح والمرجوح، ثم بعد ذلك ينتقل إلى المغني مثلاً، المهم أن يترقى طالب العلم في هذا الأمر.

ولذلك دائماً أنا أوصي الطلاب: إذا جئت إلى الجامعة في أول الأمر فإذهب إلى شيخ، واجلس عنده، وشرح له حالك، واجعله يرسم لك طريقاً، سواءً من ناحية المتون، أو من ناحية كيفية الترقى في هذا الطلب.

يعني الحقيقة أنني ما أريد أن ينتهي الوقت، ولكن على كل حال: يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ولعل الله أن يكتب لنا لقاءً آخر، أسأل الله عز وجل أن يثيبكم على حضوركم وصبركم.

والله أعلم، وصلى الله على نبيينا وسلم.